توجهات الذات الراثية عند الشاعرالعباسي

د. فهد نعيمة مخيلف

جامعة كربلاء □ كلية التربية

الملخص :

الرثاء من الأغراض الشعرية المعروفة التي أشبعت بحثاً ودراسة ، لكن الجميع يعلم أن شعر الرثاء يعني مدح الميت والبكاء عليه شعراً ، فهو موجه – كالعادة – من شخص حي إلى آخر ميت ، لكن ما يميز موضوع هذا البحث هو أن الرثاء موجه من شخص إلى ذاته نفسها ، ومن حي إلى حي لم يمت .

ويحدث ذلك عندما يعيش الشاعر مع ذاته أزمة نفسية ترفض الواقع الأليم وتتمنى أن تثور عليه في اللحظات التي تؤمن فيها بأنه لا جدوى من تلك الثورة التي لم ولن تحقق الأمنيات المرجوة ، فمن الواضح جداً أن الشاعر متى ما وصل إلى حالة الرثاء – رثاء الذات - فهو يعاني إذاً من موت مجازي، موت للذات الحالمة التي تصبو إلى المبتغى بعد يأس محيق ، ذلك اليأس هو الذي أوصل الشاعر إلى الشعور بموتٍ معنويٍ يستحق الرثاء .

إن هذه المشاعر التي تثيرها تلك القصائد الراثية للذات الشاعرة هي التي أثارت فضولي للبحث بين معانيها المؤثرة في دواوين الشعر العباسي عند أولئك الشعراء الذين جددوا في موضوعاتهم وصورهم في العصر العباسي إذ رأيت بأن شعرهم أنموذج رائع لفكرة البحث .

لقد وجدت بعد تأمل لأشعارهم أن الأزمة لديهم بدأت مع الذات الفاقدة لأسباب التميز وتحقيق الأمنيات ، وأزمة أخرى هي المجتمع الذي لم ينصف الشاعر بأي شكل من الأشكال ، تلك الأزمة هي التي أغلقت أبواب الممكن وفتحت أبواب المستحيل ، فرسم كل هذا بصور شعرية راثية لأطلال نفس لم تمت بعد .

Abstract

Elegy is one of the subjects that has widely been investigated . However , all know that elegiac poetry means praising the dead and mourning for him though poetry as it is directed from a person alive to one dead .

The subject of the present paper is studying elegy directed from a person a live to another also alive and not dead . This takes place when the poet faces , with himself , a psychological crisis which rejects the distressful reality and which wishes to revolt against it , at the time when it believes that revolution , which would never accomplish and would have never accomplished the desired wishes , is of no avail , Therefore , I tried to think deeply of self-elegy poems of the Abbasade poets and then give my point of view regarding them so as to get to the beach of such beautiful images and , hence , provide my contribution in this regard .

من البديهي لدى المهتمين باجناس الشعر والادب ان الرثاء يعني مدح الميت والبكاء عليه شعراً . الا اننا في ثنايا هذا البحث سنتناول رثاءً من نوعٍ آخر تلمسنا آثاره في الشعر العباسي ، ذلك الشعر المتفرد بنكهة شعرية خاصة ، وهو ما اسميناه رثاء الذات الشاعرة ، وهو يُعنى بالحالة التي يصل اليها الشاعر متى ما خابت آماله في الحياة ولم يصل الى مبتغاه حتى يأس يأساً اشبه ما يكون باليأس من الميت الذي لايُرتجى منه شيء بعد ، وبما أن الشاعر يرثي كل عزيز على قلبه بعد موته ، فذاته المنكسرة الميته – مجازاً ــ هي أدعى من كل الميتين برثائه .

ومع علمنا بما لهذا العصر من تميز فني وسحر بياني نم عن ثقافة الشاعر العباسي وسعة الافق لديه ؛ لذا فقد توجه الى ذاته يستنطق آلامها وهمومها ويعبر عن وجعها ، وهذا الاينفي وجود رثاءٍ ذاتي في العصور التي سبقت العصر العباسي ، الا ان هذه الحال شكلت ظاهرة مميزة في هذا العصر ، ولأن الشاعر ابن بيئته ومرآة عاكسة لطبيعة مجتمعة وعاداته ، فجاء رثاءُ الذات مختلفاً باختلاف ثقافة الشاعر وارهاصات المجتمع العباسي وما شهده من حضارة وانفتاح مع مشاركة الشاعر ابناء جلدته في رثاء ابطال الامة وقادتها في حروب الدفاع عن البلاد الاسلامية ، الا انه انزوى في لحظات يستقرئ ذاته المملؤة بالثورة والالم ، وبالامل واليأس ، فبحث عن مراعاتها وما تستكنه من ألم ، فرثى ذاته وقت الشعور بقرب الأجل ، والخوف من المصير الواقع الذي لامردله ، الى جانب تكالب الحسرة وشدة الالام النفسية ، والشعور بالنقص عن الاقران لعاهة جسدية ، وغير ذلك مما يجعل الانسان وكأنه جثة هامدة بيد أنه في عداد الاحياء .

فنرى كثيراً من الشعراء العباسيين يعانون انكساراً وقلقاً وحيرة ازاء الموت والخوف والقهر والألم، ولم تمنع الثقافة العالية تجربة الانسان في ظل الزمان ان تكون متشابهة في كثير من الاحيان ، بل لعل العلم والحضارة يزيدان من دهشته وحيرته من حال الدنيا واهلها؛ لانهما يعمّقان غربته وانكساره ازاء فعل الزمن .

وذات الشاعر احق بالرثاء لانها تحمل جوهرة من سلوك وتصرفات ومفاهيم ، فالشاعر لا يرثى روحه ، وانما الذات هي المرثية والراثية ، ولقد تعددت تعريفات الذات ، فهي عند الشريف الجرجاني صاحب كتاب التعريفات تشير الى ((النفس)) أو ((العين))[1]،

أما ابن سينا فقال :((فذاتك مغايرة لهذا البدن واجزائه الظاهرة والباطنة))[2]، اي أنه فصل كيان الشخص عن جسمه المادي لأجل ان يحدد ماهية الذات التي تمتاز بخصوصية في الوجود ، فبفضلها ينماز الانسان عن اقرانه في الوجود .

وفرويد يراها ((جهازاً إدارياً للشخصية ؛ لأنها تسيطر على منافذ الفعل والسلوك ، ويختار من البيئة الجوانب التي يتم

بها هذا الاشباع))[٣]

وما نستقر عليه هو أن ذات الشاعر ((هي حقيقة الشاعر ، هويته الشخصية ، ما به يكون الشاعر ذاته اي شاعراً بعينه، أو ليس أي شاعر ، أي مقومات وجوده الواقعي أو الموضوعي بوصفه ((أنساناً متميزاً)) أو ((موهوباً)) أو بوصفه كائناً اجتماعياً تنهض فيه امكانية التفرد))[٤] ؛ لذا فأن النفس غير الذات ، فالنفسُ هي الروح باتفاق العلماء والذات هي الشخصية .

ومع اختلاف التعريفات فنحن في هذا البحث نقصد بالذات نفس الشاعر ، التي تتحسس ما حولها وتتأثر به ، فرثاء الذات خطاب ذاتي يدعو فيه الشاعر ذاته الى الحزن والانكسار والبكاء ، ويتأتى من شدة انفعاله ، لان التجربة الشعرية ((تصدر غالباً عن الانفعال الذي يغشى الواقع ويتحد معه ويحل فيه))[٥] ويكثر الشاعر من ذكر ماضيه وما فيه من مشكلات أثرت في حياته ونفسيته ، ورثاء الذات يشبه الى حدٍّ كبير المصطلح النفسي ((التطهير)) وهو مصطلح استعمله ارسطو ((ليحدد مفعول التراجيديا النافع على المشاهدين. ويتحرر المشاهد ، حين يتماهى مع واحد أو آخر من الممثلين ويعاني انفعالاته، من اهوائه الخاصة خشية، شفقة ... الخ))[٦] ، اما ((الطبيب النمساوي جوزيف بروير فقد استعمل هذا المصطلح للدلالة على المفعول الشافي باستحضار حدث صدمي مكبوت في اللاشعور))[٧] .

إنّ رثاء الذات نوع من التفريغ النفسي شعراً من خلال التأمل في ماضي الشاعر وحاضره المؤلم ، فهو دعوة الى الافصاح عن الحزن المكبوت ، فرغبات الشاعر ((لا تموت فيما تصاب بالكبت ، بل تختبئ في غفلة الوجدان ، وهي وان توارت من دائرة الوعي تظل أعمق تأثيراً في الانسان من الافكار الواعية ؛ لأنها تتسرب تسرباً قاتماً من ضميره وتحدث في نفسه اليقين المبرم الذي لا يقوى أن يتحرر منه))[٨] .

وقد استقر عندنا ان توجهات الذات الراثية يمكن ان تقسم على محاور :

١. رثاء النفس : وهو من اهم المحاور واوسعها في توجه الذات الراثية ، يهم اليها الشاعر بالرثاء بعدان يصل الى حالة من اليأس النفسي ، عندها يرى أن هذه النفس قد تحولت الى ميتٍ يستحق الرثاء . ومن أهم مسببات ذلك الشعور هو فقدان الاحبة، الذي وقف الشعراء عنده عاجزين منكسرين ، رثوا الموتى بيد أنهم في حقيقة الامر رثوا ذواتهم الفجيعة على ما آلت إليه احوالهم ، وامام هذه المصيبة هانت مصائبهم الاخرى كلها ، ويتخذ الشعراء من العين باباً يدخلون من خلاله الى الذات ، قال الخريمي ت ٢١٤هـ بعد وفاة اخيه :

اقول لعيني ان يكن مـلَّ مسعدي ... فأيتـها العيـنُ السـخيـنة أسـعدِي
ولا تبـخلي عيـني بدمـعك إنـه ... متى تسلبي لي رق دمعي وتجمدي
وكيف سلوّي عن حبيبٍ ، خيالهُ ... أمامي وخلفي في مقـامي ومقعـدي
نظرتُ إليه فوق اعـواد نعشـه ... بمطـروفةٍ حيرى تجور وتهـتدي
فجـاشت إليَّ النفس ثم رددتـها ... الى الصـبرِ فعلَ الحـازم المتجـلدِ [٩]

أراد الشاعر من العين ان تكون سخية في العطاء بقوله ((ولاتبخلي)) والتزم الاسلوب الخطابي ، وعبر عما يختلج مشاعره واحاسيسه من معاناة فقدان اخيه والتحمت الوحدة النفسية داخل ابياته في نسيج حي من الايقاع والصور ، فموت الفقيد يعد ((شعوراً احساسياً ضاغطاً على الذات الشاعرة))[١٠] .

لقد كانت مصيبة فقدان الاحبة عظيمة على الشعراء ، فتراهم يتفننون في اشعارهم محاولة منهم لنقل احاسيسهم الى المتلقي مما يغني التجربة الشعرية ، وظهور ذات الشاعر ممزقة منكسرة وفي هذا من الدلالة ماتكفي على أن النص ذاتي ، قال ابن الرومي ت ٢٨٣هـ بعد وفاة ابنه :

حماةُ الكرى همٌّ سـرى فتـأوّبا ... فبات يراعي النجم حتى تصوَّبا
اعـينيّ جودالي فقد جُدْتُ للثرى ... باكـثر ممـا تمنعـان وأطيبا
بنيَّ الـذي اهـديتُه أمسِ للثرى ... فـللّهِ ، ما أقوى قناتي وأصـلبا
فإن تمنعاني الدّمع ارجع الى أسىً ... اذا فتـرت عنـه الدموعُ تلـهبا [١١]

فهو يرى ان الدموع لم تخفف شدة الاسى الذي ازداد لوعةً في نفسه بعد أن نجلت عيناه بدموعهما . وذات الشاعر هنا مشغولة بوصف دهشتها وما ألم بها لحظة فقدان الابن، بل انها كانت خارج حيز الزمان والمكان الواقعيين ؛ لان الشاعر قد رسم ما في خياله ممزوجاً بانفعالات قد عاشها وأحسها تجاه الحدث .

اما ابو فراس الحمداني ت ٣٥٧هـ فيستدعي الأسى في نفسه بمخاطبة ذاته ومعاتبتها لعدم البكاء وذرف الدموع, إذ قال موجهاً الكلام لها بكاف الخطاب :

أراكَ عصيَّ الدمـعِ شيمتُكَ الصبرُ ... أمـا للـهوى نهيٌّ عليـكَ ولاأمرُ
بلـى ، أنا مشتـاقٌ ، وعنديَ لوعةٌ ... ولكـنَّ مثـلي لايـذاعُ لـه سـرُّ
اذا الليلُ اضواني بسطتُ يدَ الهوى ... واذللـتُ دمعـاً من خـلائقهِ الكبْرُ
تكـادُ تضيء النـار بين جـوانحي ... اذا هي اذكتهـا الصبـابةُ والفكـرُ
معـللتي بالوصلِ ، والموتُ دوَنهَ ... اذا متُّ ظمـآناً فلا نـزلَ القطـرُ
حفـظتُ وضيـعتِ المـودةَ بيننا ... واحسنُ،من بعض الوفاء لكِ، الغدرُ [١٢]

وكأن الشاعر يسأل نفسه في البيت الاول عنسببتلك القوة النفسية التي تمنعه من البكاء، فيجيب في البيت الثاني ، ويعلن شوقه ولوعته اللذين لا يعلنهما بسببٍ من عزة نفسه وكبريائه ، في حين نجده ليلاً وقد ذلت نفسه للهوى فأذلت معها دموعه ، وكثيراً ما كانت قصائد ابي فراس في اسر الروم حزينة ((تفيض بوجعٍ شديدٍ ، وخيبة أمل فادحة ، ومحاولة شديدة للتماسك والاحتفاظ بثقته بنفسه))[١٣] .

ومن المسببات الاخرى لهذا التوجه هو معاناة الشاعر من الغربة وما قادته الظروف السياسية والاجتماعية الى استفحال

للظلم والقهر الاقتصادي والاجتماعي فعاش معها الشاعر الغربة المكانية والروحية، وعوض الثورة والتمرد على هذا الوضع انكفأ على ذاته يواسيها على محنتها ، ويأتي رثاء الذات هنا وسيلة لإفراغ ما في النفس من شجن وهم لا يمكن افراغه إلا بالرثاء، فـ((الادب صورة نفسية لشخصية الشاعر ، أو الاديب ، فالتنفيس، والتوصل عنده دافعان متلازمان ، وشرطان هما : رغبة الفنان في أن ينفّس عن عاطفته ، ورغبته في ان يضع هذا التنفيس في صورة تشير في كل من يتلقاها نظير عاطفته))[١٤] ، فنجد الشريف الرضي ت ٤٠٦هـ مثلاً يعاني من اغتراب روحي واضح في ذلك الزمان الذي لم ينصره يوماً ، فهو ((مغترب كبير ، مهدور الطموحات ، كثير الشقاء ، شديد التحسس بالماضي))[١٥] أذ قال :

فمالي طول الدَّهر أمشي كأنني لفضلي في هذا الزمان غريبُ
اذا قلتُ قد علّقتُ كفي بصاحبٍ تعـودُ عـوادٍ بيننـا وخطـوبُ .[١٦]

وغربة الشاعر تتناسب طردياً مع تعقيدات الحياة واضطراب قيم المجتمع ؛ لان الشاعر اكثر من غيره حساسية فهو الاسرع في الوقوع صيداً سهلاً بيد آفة الغربة .

لم تكن الغربة بمحض ارادة الشاعر الا انها نشأت من عوامل قوية فرضت عليه ، وما هي الا تجسيم لواقع مرقد عاشه فأحس بغربة ذاتية ونفور من عادات وأفعال اتسم بها اهل مجتمعه مما ولد انكفاءة نفسية نجمت عنها حسرة وألم تجسد في ابداعه الشعري ، فأحس بضياعه وهو في وطنه بين اهله واحبائه ، لذا جاءت اشعاره سمفونية موسيقية تعزف رثاء الذات وتبث شجواها .

أما المتنبي ت ٣٥٤هـ فقد عانى الغربتين ، الروحية والمكانية ، فقد بَعُد عن سيف الدولة ، عن من يحب ، روحاً ومكاناً فـ ((كانت نفسه لا تهدأ ولا تستقر ، حياته ملأى بالصدمات والجراح ..وكان حبه العظيم ، وتطلعه للأمثل يدفعانه دفعاً للتعبير عن صراعات نفسه واحساساته ، في مجتمع لا يرحم))[١٧] ، ولهذا كله احس انه غريب بكل ما للكلمة من ابعاد، فنراه يقول يائساً بعد ان بلغه ان قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب ، وهو بمصر:

بمَ التعلل لا أهلٌ ولا وطـنٌ ولا نديمٌ ، ولا كأسٌ ، ولا سكنُ
أريدُ من زمني ذا أنْ يبلّـغني مالـيس يبلغـه من نفسه الزمنُ
لا تلقَ دهركَ الا غير مكترثٍ ما دامَ يصحبُ فيه روحَك البدنُ
فما يدومُ سرورٌ ما سُررتَ به ولا يُـردُّ عليـكَ الفـائتَ الحزنُ [١٨]

كان شعور المتنبي بالغضب والانكسار يزداد يوماً بعد آخر لاسيما بعد ان رحل عن سيف الدولة وقد بدا ذلك واضحاً في القصائد التي نظمها في بلاط كافور ، فعند قراءة ((لا تلق دهرك الا غير مكترثٍ)) يُخيل اليك ان المتنبي هنا من القوة بحيث يدعو نفسه واثقاً للتحلي بها ، وعدم الاكتراث . لما يمَّر به في هذا الزمان ؛ لأن كل شيء غير دائم ، الا انه في الحقيقة يستدعي ما في داخله من الحزن والالم لما يعاني منه ، فغربته في مجتمعه وغربته في احبائه ، كانا عاملين مهمين في تبلور الشعور بهذا الاغتراب الروحي المكاني ، الذي تجلى في كثير من قصائده. فتمثل حزن المتنبي بقسوة الدهر عليه فقد فرق بينه وبين احبائه فهي من المواقف الصعبة التي آلمت الشاعر وشكلت عنده معاناة عميقة عاش معها في غربة روحية ومكانية .

وللمتنبي مسبب اخر دفعه الى رثاء نفسه - كما عند كثير من الشعراء غيره – الا وهو حالة الصدام مع العالم الذي يحيط به ، ذلك العالم الذي لم يقيّم شخصية الشاعر الفذة فهو لا ينسجم ومقدرته وتطلعه للسمو ، مما ولد حالة من الخذلان إذ لم يصل الى مبتغاه وسعيه للمجد ولا سيما الشعراء الذين مدحوا السلطة وتقربوا إليها ، فنتج عن ذلك انكساراً معنوياً وألماً وحرقة ولّدت رثاءً ذاتياً خالصاً ، وخير مثال على ذلك المتنبي ت ٣٥٤هـ الذي عشق العظمة وتغنى بها كثيراً فكان يتطلع للامثل الى الحد الذي تجاوز به واقعه إلا انه اصتدم بحاجز الفشل وخيبة الامل وادت في النهاية الى الشكوى والحسرة ((وهذا الالم المر الذي نحسه في شعره والشكوى المستمرة حمل بعضهم أن يجعل منه صاحب مذهب في التشاؤم)) [١٩] .

فالمتنبي لم يتصنع الرضا وقبول السلطان في تعامله معه ، بل كان واضحاً ، وصاحب طموح في وقت نصّب الدهر حكاماً غير مؤهلين لأدب لهم ولا شجاعة امثال كافور وعضد الدولة في حين ان اهل العلم والادب محرومون من تحقيق اهدافهم ، فشعره كان ((فيضاً من نفس حساسة اعتملت فيها الاحداث واثرت فيها التجارب فعبرت عن وقع التجربة عليها تعبيراً انسانياً يعكس للناس مدى تأثرها واستجابتها وانفعالها)) [٢٠] .

إن الدوافع الذاتية للشاعر تستوحي رفضها من مجمل الظروف التي يعانيها مع مَنْ حوله ، حتى تؤدي به الى الكبت الذي لابدله من صحوة ينفجر معها الشاعر بمشاعره ، فيفرغ كل ما بداخله بصراخ شعري يستدعي من خلاله ذاته المنكسرة للمزيد من الحزن واللوعة ، حتى يصل به الامر في أعلى المراحل ان يرى في الموت شفاءً له مما يعانيه ، قال المتنبي بعد تجربته القاسية مع سيف الدولة مخاطباً ذاته بكاف الخطاب :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسـبُ المنايا أنْ يكنَّ امانيا
تمنيتهـا لمـا تمنّيـتَ ان تـرى صديقـاً فأعيا أو عدوّا مُداجيا
اذا كنـت ترضـى ان تعيشَ بذلةٍ فلا تستعّـدنَّ الحُسام اليمانيا

حتى قال :

حببتُكَ قلبي قبل حبّك من نأى وقد كـان غدّاراً فكُنْ أنتَ وافيا
واعلـم ان البـين يَشكيكَ بعده فلستَ فؤادي ان رأيتُكَ شاكيا [٢١]

هذا المتنبي الذي لا يخفى على احدٍ كبرياؤه وعزة نفسه يلجأ لرثاء ذاته وتعليلها دون البكاء الذي يراه الناس لانه يجد به غدراً لذاته المتعففة ، إذ تتجلى كرامته في تمنيه الموت بدل البكاء الذي سيقلل من شأنه امام مَنْ يسميهم بالغادرين ، فعجز المتنبي عن تحقيق طموحاته الشخصية في امتلاك موقعٍ في الدولة وخذلان سيف الدولة له ترك في نفسه داءً لا علاج له الا – الموت - .

والمتنبي في هذه القصيدة يقف وقفة متأملة امام نفسه فقد ((كانت حكمه ردة فعل لمطامح في طلب المجد والقوة اصطدمت بالفشل والاخفاق ، فخلفت معرفة دقيقة بحوادث الزمان وعواطف الانسان)) [٢٢]، ونجد مثل هذه الحسرة بادية عند

ابن لنكك ت ٣٦٠هـ ايضاً ، الذي قال :

حرمانُ ذي أدبٍ وحظوةُ جاهلٍ أمـرانِ بينهما العقولُ تحيّرُ
كـم ذا التفكرُ في الزمانِ وإنّما يُـزدادُ فيـه عمّى إذا يُتفكرُ
الارذلـونَ بغبـطةٍ وسعـادةٍ والافضـلون َقلوبُهـُم تتفطرُ (٢٣)

فهو يرثي ذاته لما آلت اليه الامور من ذل وهوان لإمثاله من افاضل القوم ، وهذا البون الشاسع بين مكانة كلا الفريقين من اشراف الناس واسافلهم ولّد سخطاً وحسرةً في ذات الشاعر فهو يرثي ذاته المنكسرة ويعللها بعدم جدوى التفكير بالدنيا فهي قائمة على التنافر والمفارقة وعدم المعقولية ، إذ وصل الشاعر الى حد((الاخفاق في التكيف مع الاوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء وايضاً إنعدام الشعور بمغزى الحياة)) (٢٤) .

عانى الشعراء من سياسة الدولة العباسية وتعاملها معهم ، فعمل بنو العباس على تكميم الافواه ووضع السيوف على الرقاب ، وما هذا الا لأن الشعر كان يُتخذ وسيلة للدعاية والتمجيد ، والسلطة لا تتحمل النقد السياسي أو المعارضة ، فقتلت من الشعراء من خالف هواها وشردت من تهجم عليها ، وفضلاً عن هذا كانت الدسائس والسعايات تعمل عملها في خلق حالة من الريبة والشك بين السلطة والشعراء ، فكانوا على خوف واضطراب دائمين اضف الى ذلك تهمة الزندقة والالحاد المعدة سلفاً لكل من يناوئ أو يعارض حكم العباسيين فانعكس ذلك سلباً على ذات الشاعر حين أحس بدنو الموت ولا سيما عند الشعراء المطاردين من السلطة الذين دخلوا في حالة صراع معها ، فهذا صالح بن عبد القدوس ت١٦٧هـ الذي طارده المهدي بتهمة الزندقة الملقاة ظلماً وحيفاً عليه كما شك ابن المعتز ت٢٩٦هـ في ذلك(٢٥) ، نراه بعد ان ألقي القبض عليه وسُجن في بغداد انتظاراً لمحاكمته – اي موته – يصور بأبيات رثائية ذاتية تنم عن لوعة الاحساس ومرارة البلوى :

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنـا من الاحيـاء فيها ولا الموتى ...
طـوى دوننا الأخبارُ سجنٌ ممنّعٌ له حـارسٌ تهـدا العـيون ولا يـهدا
قُبرنا ولـم نُدفـن فنـحن بمعزلٍ من الناس لا نُخشى فنُغشى ولا نَغشى
ألا أحـدٌ يـأوي لأهـل مَحـلةٍ مقيمـين في الدنيـا وقد فـارقوا الدنيا
كـأنهمُ لـم يعـرفوا غير دارهم ولم يـعرفوا غيـر التضـايق والبلوى (٢٦)

فالشاعر يتأمل الموت ويحاول ان يقول من خلال قصيدته ما يشبه امنياته واحلامه التي طالما أراد أن يحققها أو يراها وتصبح قصيدة رثاء الذات الفرصة الاخيرة امام الشاعر حتى يُعزي ذاته وتصبح القصيدة مرآة للذات ، فهي قصيدة بوح عن احلام الشاعر وواقعه اكثر منها قصيدة تحنط ذكر الميت ، وان ((الشاعر الذي تتسرب الى نفسه فكرة الموت ، ويشعر ان عمره قد اشرفت نهايته ، يسد عليه الاحساس بالموت كل مشاعر السعادة وتعتلج في نفسه مشاعر عنيفة مختلفة ، وتثور في عواطفه انفعالات شتى متناقضة ، انه يخشى الموت ، ويرغب في الحياة ، ويشعر ان عمره القصير لن يمنحه فرصة للارتواء من هذه الحياة قبل الموت،ولعل في خوفه من الموت تعبيراًعن تشبثه بالحياة وتمسكه بها))(٢٧) وقف عدد من الشعراء العباسيين امام ذواتهم ليرثوها بعد ان عجزوا عن ايجاد الحلول المناسبة لتغيير أحوالهم وهم بهذا كانوا لسان حال الطبقات المعدمة في المجتمع فقد صوروا مظاهر البؤس والفقر بمناظرها البشعة ونشأة الاطفال في هذه الاجواء باليأس والحرمان وفصلوا القول فيها وما هذا الا تجسيد لحالة التمايز الطبقي والفروق الاجتماعية وتفشي الجوع والعوز بين ابناء الشعب ، فما كان منهم الا الركون والاستسلام والجنوح الى الرثاء الذاتي بصفته تفريغاً للهم المتجذر في تلك الذوات المنكسرة ، قال ابو الشمقمق ت ١٨٠هـ :

أنـا في حـالٍ تعالى الـ لـه ربـي ايَّ حـالِ
لـيس لـي شيءٌ إذا قيـ ل لِمنْ ذا ؟ قلت : ذالي
ولقـد أهـزلـتُ حـتى مـحتِ الشـمسُ خيالي
ولـقـد إفـلـستُ حـتى حَـلَّ اكـلي لعيـالي
مـن رأى شيئـاً محـالاً فـأنا عَيـنُ المحـالِ
في حـرامّ النـاس طُرّاً مـن نسـاءٍ ورجـالِ
لـو ارى في الناس حُرًّا لـم اكُنْ في ذا المثـالِ (٢٨)

الشاعر يصور سوء حاله وقلة رزقه ، فهو من شدة العوز والجوع ذوى حتى أصبح خيالاً ، ومع رسم هذه الصورة المليئة بالاسى نلحظ صورة ساخرة ((حل اكلي لعيالي)) الدالة على ألم احساس الشاعر وشدة انتكاسه فشر البلية ما يضحك .

إنَّ ركون الشاعر الى ذاته ورثاءها يمثل قمة الخذلان من المجتمع واليأس من التغيير فلم يجد غير ذاته عوناً في مصيبته ولا سيما ان الشعراء لم يكتفوا برسم صور فقرهم وانعدام احوالهم بل جسدوا في اشعارهم الرثائية بؤس عيالهم وصريخ اطفالهم وعويلهم تضوراً من الجوع وهذا ما نجده في قول ابي فرعون الساسي :

وصبيـة مثل فراخ الـذّرّ سـود الوجـوه كسوادِ القدرِ
جـاءَ الشتـاءُ وهُمُ بشرّ بغـيـر قُمـص وبغيـرِ أزرِ
حتى إذا لاح عمود الفجرِ وجـاءني الصبح غدوت أسري
وبعضهم ملتصقٌ بصدري وبعـضهم مُنحجـر بحجـري
أسبقُهم الى أصـول الـجذُرِ هذا جميـع قصّـتي وأمـري
فأرحـم عيالي وتولَّ أمري كنَّيت نفسي كنـية فـي شعري
أنا أبو الفقرِ وأم الفقرِ .(٢٩)

إن الشاعر لم يجد مخرجاً نفسياً غير الرثاء الذاتي فهو المتنفس لكل هذه الويلات ، عبر عن حاله بكل الم وحرقة ولكنه تعبير انهزامي فلا امل يلوح في الافق فهو لما ((لم يجد الى كتم الالم سبيلاً يتخذ التغني بالالم ذريعة لتفريج الكربة)) (٣٠) .

إذ ان الشعراء كانوا يدركون ان ذلك البؤس والحرمان ما هو الا نتيجة طبيعية لتلك الفوارق الطبقية التي كانت سبباً في نعيم فئات قليلة على حساب بؤس طبقات كبيرة شكلت غالبية عظمى من المجتمع العباسي . (٣١)

لم يقف الشاعر العباسي عند حدود معينة في رثاء ذاته والتعبير عن آلامها بل ابتدع رموزاً ذات دلالة شعرية متفقة مع رؤيته الابداعية ، فالعمل الابداعي ((لايتأتى من فراغ وان الاداء البياتي الذي ينقل المعنى تسوقه انفعالات الشاعر فيكون حينئذ للكلمات والصور معنى اذ يتفق الاثنان ويظهرهما في سبيل بياني واحد)) (٣٢) ، فمن هذه الرموز مثلاً رمز الحيوان الذي يحمل كثيراً من الايحاءات المعبرة عن همومه الحاملة لعذاباته ، وهو ((وسيلة تطلق نوعاً من اللذة من شأنها ان تساعد على التخلص من – المكبوتات – شأنها في ذلك شأن النكتة)) (٣٣) .

لقد مثل خطاب الرمز – الحيوان – عند الشعراء نوعاً من انواع التبادل الشعوري بين الشاعر والرمز المخاطب في مسألة الفراق وبعد الأحبة ، اذ يكون هذا الامر محور الخطاب الذاتي الذي يتخذ من الرمز وسيلة لبث ما يجول في النفس من الاحساس بالالم نتيجة البعد والشوق ، فيبعث سماع الشاعر ديك الجن ت ٢٣٥ هـ لبكاء الحمائم على استدعاء الاسى والالم في ذاته بعد ان فقد الصبر ، فقال :

حمائمُ ورقٌ في حمى ورقٍ خضرِ لهـا مقلٌ تجـري الدّمـوعَ ولاتجري
تكلـفت اسعـادَ الغـريبة أنْ بكـتْ وان كُنَّ لا يدرين كيف جوى الصدرِ
لهـا حُـرقٌ لو أن خنسـاءَ أعولت بهـنَّ لادتْ حـقَّ صخـرٍ الى صخرِ
فقلتُ لنـفسي ههنـا طـلبُ الأسـى ومعـدنُـهُ ان فـاتنـي طـلـبُ الصَّبـرِ
ظللنا ولو اعطى المُنى لصحبتها حماماً ولو تُعطى المنى لروت شعري (٣٤)

تشكلت رؤية الشاعر الحزينة حضوراً دلالياً اسبغه على رمزه الحيواني كشف من خلاله عن معاناته ، فقد اعتمد الرمز في استبطان ذاته ومن ثم التفريغ النفسي لآهاته الدفينة

((فالرموز نماذج أصيلة تصور حقائق نفسية مكبوتة في اللاوعي الجماعي الانساني))(٣٥) فخطاب الحيوان وسيلة من وسائل التعبير غير المباشر عن المشاعر المكنونة في الذات ، فالشاعر يرسم صورة للطير مثلاً ويخاطبها أو بالاحرى يخاطب نفسه، فالصورة ليست ((غاية في نفسها ، ولكنها وسيلة لأداء المعاني ،والتعبير عن الحقائق والمشاعر)) (٣٦) ، قال ابو فراس الحمداني ت ٣٥٧هـ - وهو في اسره – بعد ان سمع حمامة تنوح على شجرة:

أقـولُ وقد نـاحتْ بقربي حمـامةٌ أياجارتا هل تشعرينَ بحالي ؟
معاذَ الهوى , ماذُقتِ طارقةَ النوى ولاخطرتْ منـك الهمومُ ببالِ !
أتحمـلُ محـزونَ الفـؤادِ قـوادمٌ على غصنٍ نائي المسافةِ عالِ
أيـا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أُقاسمكِ الهمومَ ، تعالي !
تعالي تـري روحاً لديّ ضـعيفة، تـردَّدُ فـي جسـمٍ يعـذّبُ بالِ
ايضحكُ مأسورٌ ، وتبكي طليقةٌ، ويسكـتُ محزونٌ ، ويندبُ سالِ
لقد كنتُ أولى منكِ بالدمعِ مقلةً ولكـن دمعي في الحوادثِ غالِ (٣٧)

ان هم الشاعر والمه قد دفعاه الى البحث عن انيس يشاطره آلامه ويرثي له حاله ، فوجد الانيس الذي يبعث على المفارقة فمع تمتع الحمامة الطليقة بالحرية والغناء على الشجرة المرتفعة إلا أنها تنوح ، وما هذه المحاورة التي جرت بين الشاعر ورمزه الحيواني– الانيس –الاتعبير عن اسرار الذات الحائرة فهي بين قيد الاسر وفقدان الحرية وبعد الاحبة ، وحاول الشاعر رثاءها فجاء رمز الحمامة حاملاً ضياع الامل ومعبراً عن نظرة الشاعر المأساوية لواقعه ، اذ مثل ((علاقة تبادل واتحاد في الوقت نفسه ، فمن خلال هذا الرمز يحاول التعبير عن مشاعر مكبوتة في داخله عن طريق الانحياز الى العنصر الاضعف أو المعتدى عليه)) (٣٨) .

وغير الطير نجد مثلاً ابا العلاء المعري ت ٤٤٩هـ يخاطب الناقة في مقدمة لقصيدته، فيحفز في ذاته مشاعر اليأس من الحياة الغادرة ، التي أوهمته بسرابٍ ، فإذا به أسير تخيلاتٍ لا وجود لها ، وقد اسقط ذلك كله على ناقته ، وهو في الحقيقة حوار ذاتي مع نفسه:

أعنْ وخد القلاص كشفتِ حالا ومن عند الظلام طلبتِ مالا
ودراً خِـلـتُ انـجمـه عليـه فهـلاّ خلتـهنَّ بـه ذُبـالا
وقلتِ : الشمسُ في البيداءِ تبرٌ ومثـلُكِ مـن تخيَّل ثم خالا (٣٩)

لقد مثلت الناقة عند المعري هنا الجموح الذاتي فاراد ان يكبح جماحها ، فضلاً عن انه حاول اخفاء ملامح تجربته الذاتية عبر خطابه للناقة ؛ فتجربة الشاعر هي ((أخفاء بذات النفس بالحقيقة كما هي في خواطر الشاعر وتفكيره ، في إخلاص يشبه اخلاص الصوفي لعقيدته))(٤٠) ، لقد عكس المعري على رمز الناقة كل اسقاطاته الذاتية ، تلك الذات التي تعاني من أزمة مستمرة وصراعات مختلفة ، قد تكون نفسية او سياسية أو دينية، فضلاً عن فقده لبصره ، فقد ((ظل احساسه بهذه الخسارة الفادحة يؤلمه طول العمر ، وقد ظهر تشاؤماً وحزناً طبع ابا العلاء بسوداوية عرف بها واشتهر ، وفلسفةٍ لاترى في الحياة غير الالم والعذاب والمرارة))(٤١) .

٢. رثاء المكان :يعد الوقوف على الطلل ومخاطبته نوعاً من انواع رثاء الذات وعاملاً من عوامل التفريغ النفسي ، إذ يقف الشاعر امامه مبدياً ضعفه وانكساره ، وربما كان هذا الموقف اكثرها دلالة على مرارة احساسه بالألم لفراق الاحبة ، فلم يبقَ له سوى الوقوف على اطلالهم وفاءً لذكراهم ، وتذكراً لإيامه الخوالي معهم ، مستنطقاً ما يعتمل بداخله من هم ولوعة ، فيجعل المكان محفزاً لبث مشاعره الحزينة ، وما تركه المكان من اثر في نفسه ، وانقسم الطلل عند الشاعر على قسمين :

طلل بوصفه مكاناً محبباً ، وطلل بوصفه مكاناً غير محبب ، وكون الطلل محبباً ام غير محبب ما هو الا انعكاس لذات

الشاعر وما تسقطه هذه الذات على المكان من ذكريات، فحب المكان يعادل حب من سكنوه احياءً كانوا ام امواتاً ، اذ ان المكان قد استوعب في ذهن الشاعر العباسي الحياة بجوانبها المتعددة ، إذ ((كان يسجل تجربته في اماكنها المختلفة ، والتي عايشها وألفها واعتادها ، وتركت في نفسه آثاراً حية)) [٤٢] .

فالشاعر يقف عند طلل الحبيب ليعبر عن خلجات نفسه ، ويهرب من ضغوط الحياة عليه ، فيخاطب ذاته بمخاطبته المكان ويرثيها فهو المؤثر الذي يثير في نفس الشاعر مشاعر خاصة كان لها اكبر الاثر في نفسه ، قال ابن المعتز ت ٢٩٦ هـ :

لَمـنْ دارٌ ربـعٌ قد تعـفّى ... بنهرِ الكـرخ مهجورُ النّواحي ..
محـاهُ كـلُّ هطّـالٍ مُلـحٍّ ... بوبـلٍ مثـلِ أفـواه الجـراحِ
فبـات بليـلِ باكيـةٍ ثكولٍ ... ضريرِ النّـجمِ مفتقدِ الصّباحِ
واسفرَ بعد ذلك عن سماءٍ ... كـأنَّ نجـومهاحَدَقُ الملاحِ

الى ان يخاطب ذاته :

وفتيـانٍ كهـمّك مِنْ أناسٍ ... خفـافٍ في الغدوّ وفي الروَّاحِ
بعثـتهُمُ علـى سفـرٍ مهيبٍ ... فمـا ضـربوا عليـهِ بالقداحِ
فكابـدنا السُّرى حتّى رأينا ... غُرابَ الليلِ مقصوصَ الجناحِ
واخوانٍ هجوني عند عسري ... وعند اليُسر غـالوا بامـتداحي
وكم ذمٍّ لهم في جنبِ مدحٍ ... وجـدٍّ بيـن اثنـاء المـزاحِ [٤٣]

نرى الشاعر هنا يلتقط التقاطات معينة من حول المكان الذي يتأملهُ ويسقط عليها احساساته ومشاعره المنكسرة من كل مَنْ له بهم علاقات سابقة فخذلوهفالاحبة قد رحلوا ، ومن بقى فهو غير ذي نفع ، أو لم يكن عند حسن ظنه ، مثل ((وبلٍ مثل افواه الجراح ، ضرير النجم ، كأن نجومها حدق الملاح ، فتيان كهمك ، مقصوص الجناح ..... الخ)) ، فيستدعي في نفسه كل مشاعر الهمّ والماضي والحاضر من خلال المكان الذي يذكره بذلك كله ، وبذلك لم يعد الطلل عند الشاعر ماضياً مجرداً ، أو مكاناً مفرغاً من التجربة الذاتية وقيم التاريخ ، انما يبنى على ما يمر به الشاعر من أحداث الزمن الحاضر ، انه صورة لذاته وتضمين خفي لموقفه النفسي من قضايا العصر ومشاكله .[٤٤]

ونجد الشاعر الحاجري ت ٦٣٢هـ يتأمل اطلال الاحبة فيخاطب ذاته متأثراً بما حل بعد رحيلهم ، ويستنهض الحزن في ذاته صبابةً وعشقاً ، إذ قال :

قفْ بي على تلك المعاهد وقفةً ... تشفي الجوى وتفوز بالاحسانِ
إنَّ الاولى رحـلوا غداة مُجِدّ ... ملـؤوا القلوبَ لواعجَ الاحزانِ
نزلـوا برامةَ قاطنين فلا تَسلْ ... ما حلَّ بالاغصـانِ والغـزلانِ
فـلأ بعثـنَّ مـع النسـيمِ إليـهمُ ... شكوى تميلُ لها غصونُ البانِ
واغنُّ لو شَهِدَ العـذول جـمالهُ ... نبـذ المـلامَ وللغـرامِ دعاني
متيقـظٌ للفتـكِ نـاعسُ طـرفه ... ويلـي مـن المـتيقظِ النعَّسـانِ

الى ان يصل الى الخطاب الذاتي :

لمَ لا احنُّ الى الحجاز صبـابةً ... ويجـودُ دمعُ العـينِ بالهملانِ
فرضابُهُ الخصرُ العذيب وخدُّهُ ... النّضرُ الحمِى ، وعذاره العلمانِ[٤٥]

وقد زاوج الشاعر بين حديث العشق والوقوف على الطلل في آن واحد ؛ فالطلل يذكره بالموت والفناء، بيد ان الحب وذكر الحبيب يقوده الى تذكر حياته ووجوده وهو نوع من تصبير الذات وتعزيتها على ما فعلت الايام بها ، فالتأمل لاماكن الاحبة واستدعاء الحزن الكامن في ذات الشاعر ما هو الاتمني العودة الى الماضي ، فـ ((كل الاماكن التي عاش فيها لحظات عزلته الماضية ، التي عانى فيها الوحدة والتي استمتع فيها ، ورغب فيها، فإنها تظل راسخة في داخله ؛ لأنه في مكانه الجديد يرغب بالعودة إليها)) [٤٦] .

ولم يقف الشاعر العباسي عند ذكر طلل الاحياء فقط ، بل وقف عند – طلل الاموات–((القبر)) شاكياً لاحبته راثياً ذاته بعد ان يئس من الحياة وانهزم في رحلة الصراع معها ، فكان القبر ملاذاً ومستقراً لذات قلقة مضطربة استنجدت وحاولت على قدر معين التعزي والتصبر لمواصلة الحياة من جديد، قال حماد عجرد ت ١٦١هـ :

لم اجـدْ لي مـن الانامِ مجيراً ... فـاستـجرتُ القبـور والأحجـارا
غير اني جعلتُ قبر ابي أيُوبَ ... لي مـن حـوادثَ الدهر جـارا
وحقيق لـمن يجـاور ذاك الـ ... قبـرَ أن يأمـن الـردى والعثـارا[٤٧]

لقد جاءت تجربة الشاعر هنا ((حية تنبض بلمحات وجدانية وتنطق بالعبرة في مأساة الزمن وفعله بالانسان والاشياء ، فهو يبكي الطلل ويناجيه ممثلاً حسرة الانسان ولوعته أمام المادة التي تحمل في سكونها ورتابتها واشلائها عواطف النفس وحنينها الى الماضي الذي أتعبه الشوق وطهره البعد فإذا الطلل رمز الماضي والسعادة والحب)) [٤٨] .

ولم يستمر الشاعر العباسي على وتيرة واحدة في حبه ووده للطلل ، بل صار المكان عند بعض الشعراء منبوذاً لايمتُ بأي صلة روحية للشاعر ، إذ عكس الشاعر همومه الذاتية ورؤيته السوداوية على المكان رثاءً منه لذاته المنكسرة وتفريغاً للحسرات المكبوتة ، فهو عندما يشعر بالعجز والاحباط يُسقط هذه الالام على المكان ، وما هذه الاوصاف القاسية للأمكنة الا تعبير عن حيف أحس به الشعراء بسبب اخفاقاتهم في تحقيق رغباتهم

وطموحاتهم ، فكان الخطاب التوبيخي وصفا صادقاً لخواء روحي وذات متألمة أصتدمت بواقعها فعادت يائسة عزاؤها الوحيد هذه الابيات الراثية لها ، قال المعري ت ٤٤٩هـ :

كـل الـديـار ذميـم لامقـام بـه ... وان حـللت ديار الوبـل والـرهمِ

ان الحجازَ عن الخيرات محتجز وما تهامة إلا معدن التهمِ
والشام شؤم وليس اليمن في يمن ويثرب الآن ، تثريب على الفهمِ[٤٩]

فهذه الاسقاطات الابداعية مستمدة ((من البنية المكانية في النص المفعمة بالجوّ النفسي الذي يشكل المخاض الحقيقي للمعاناة البشرية)) [٥٠]، فالمعري يتأمل البيئة التي تحويه ((محاولاً رفعها ، واصلاح شؤونها على أنه لم يرَ فيها غير أوجه الفساد والظلام...فجاء شعره قاتم اللون كأنما هو مصباح تنفذأشعته الينا من وراء زجاجة سوداء))[٥١] .

٣. رثاء الجسد :

ومن اشكال رثاء الذات ايضاً ذلك الرثاء الروحي الذي يحسه الشاعر المبتلى بعاهة ما فهو يحس بالزمن احساساً يختلف عما هو عند الناس الاسوياء ؛ ذلك ان العاهة كانت هي المحور الاساس في إختلال الموازين من حوله ، فمع اختلال الالوان والاشكال عند الشاعر الضرير مثلاً نرى انه قد اضاف إليها اختلالاً زمانياً ، فالإحساسبالزمان عنده مقرون بالتشاؤم اذ يصتدم كل يوم بهذا الزمن المتغير الذي لايدري عنه شيئاً فهو لا يعرف الشروق ولا الغروب أو الصباح والمساء ، فمع سعيه لنسيان عاهته ، يظهر الزمان ناقوساً يدق مذكراً بألم العاهة ووطأة الاحساس بالنقص الذي يلازمه ، فرثى الشاعر الكفيف ذاته من خلال آلة الاحساس بالزمن – العين - ، اذ يدعو الذات للحزن عبر بكاء العين، قال ابو الشيص الخزاعي ت ١٩٦هـ :

يانفس بكّي بأدمعٍ هُتُنِ وواكفٍ كالجمانِ في سَنَنِ
على دليلي وقائدي ويدي ونور وجهي وسائسِ البدنِ
ابكي عليها بها مخافة أن يقرُنني والظلام في قرنِ [٥٢]

يحدث الشاعر هنا نفسه طالباً منها ارخاء اعنّتها للبكاء على ما يستحق البكاء ، وهو فقد البصر ، تلك الحاسة التي يعتمدها الشاعر مصوراً ومسجلاً لما حوله مضيفاً إليها ما يعتمل في نفسه من احاسيس ، ثم يطرحها عملاً فنياً متميزاً ، فمخيلة الشاعر الكفيف واسعة الأفق ، أوسع من أفق المبصر ؛ لذلك نراه يبكي عينيه بمرارة فهي ما ينقصه ، ويعوزه للتحليق في سماء فكر الفنان المبدع .

ويجعل الشاعر الكفيف العمى مساوياً للموت ، والاحساس بالموت يستحق الرثاء ، قال ابو بكر العلاف ت ٣١٩ هـ :

قالت كأنك في الموتى فقلتُ لها قد مات من ذهبت- والله – عيناه
عيناي كفاى لا طرفٌ ألذّ به وكيف يفرح من عيناه كفاه [٥٣]

هناك عوامل ذاتية وموضوعية تنعكس على تجربة الشاعر فتسهم في بنائها وفي تشكيل نفسيته ولعله لا ينسجم بحكم هذه العوامل مع واقعه مما يؤدي الى انطوائه في عزلة ذاتية يرى انها تستلزم الرثاء ، لا سيما وانه لا يمتلك ما يقاوم به هذه العوامل[٥٤] ، فهذا المعري قال متمنياً الموت :

ربِّ متى أرحل عن هذه الد نيا فأنني قد أطلت المقام
لم أدرِ ما نجمي ولكنه في النحس مذ كان ، جرى واستقام
فلا صديقي يترجى يدي ولاعدوي يتخشى انتقام
والعيش سقم للفتى منصب والموت يأتي بشفاء السقام[٥٥]

فطلب الموت يكشف مقدار الالم والضيق الذي ألم بالمعري ، اذ ان الشاعر في هذا النص يصف لنا حاله وما يعتريه وصفاً دقيقاً ، فالالفاظ في ابياته تكشف عن رؤى الشاعر الداخلية ، هذه الرؤى التي تصتدم بواقعه الخارجي فالشاعر مفجوع بعاهته ومجتمعه الذي لم يتأقلم معه ، فولد الانطواء على الذات يعللها ويمنيها الموت الذي يأتي بشفاء سقام هذه الحياة المرة .

إنَّ وقوف الشاعر متحيراً بوجوده وآلامه الخاصة في هذا الوجود مع العجز والتيه في تحقيق تطلعاته الذاتية أشعره بوجع ومرارة شديدين مما ولّد عنده تلك النظرة المأساوية التي شكلت في النهاية نفسيةً متأزمةً ، فالازمة تشكلت مع الذات أولاً كونه فاقداً لاسباب النجاح مما جعلها بحاجة الى رثاءٍ خاص ، ومع المجتمع ثانياً ذلك المجتمع الذي لم ينصف امثال الشاعر من أهل العلم والمعرفة فانبثقت هذه الهوة وذلك البون الشاسع بين ذات الفنان – الشاعر – الصغيرة في حيزها الكبيرة بآلامها وآمالها، والعالم الخارجيبما يحمل من تناقضات وتنافرات ، فآثر الشاعر الانسحاب من هذه المعادلة الخاسرة في حساباته كونه فاقداً لكل اسلحة المواجهة ، مما ولد في نفسه حسرات وآهات كانت ابياتاً شعرية صادقة في رسم حجم الخسران وفداحة الهزيمة المرة ، فالعجز يلاحق الشاعر ويشكل حاجزاً بينه وبين اسعاد ذاته وتحقيق طموحاته حتى وصل به الى مرحلة اليأس من نيل المبتغى في وقت كان الواقع بعيداً عن مستوى الامنيات فكفن ذاته – التي مازال صاحبها يتنفس الهواء – ووقف على اطلالها راثياً .

نتائج البحث

١- الموت هو التوقف عن اي فعلٍ ، وهو معنى مرادف للعجز ، اذن فلاغرو أن يرثي الشاعر ذاته حين يصل الى قناعةٍ تامة بأنه عاجز عن تحقيق آماله .

٢- رثاء الذات هو وقوف على أطلال الأمل ، ذلك الأمل الذي توقفت انفاسه فصار جديراً بأن يُرثى .

٣- حين نقول بأن الرثاء هو مدح الميت شعراً فالراثي هنا هو الشاعر والمرثي هو ذاته التي يشعر بأنها تستحق المدح فهي تحمل من الصفات ما يميزها عن غيرها إلا أنها لم تحصل على ما حصل عليه الكثير ممن لا يستحقون المدح .

٤- إنَّ فقدان الشاعر لأسباب النجاح هو الموت ((الروحي)) الحق بالنسبة إليه ولا موتَ أحق بأن يُرثى إلا الموت الحق ، وإلا

فالموت الجسدي هو أمر إلهي مفروض لايستدعي منه وقفة خاصة .

هوامش البحث

التعريفات ، ٨٧
أحوال النفس ، رسالة في نفس وبقائها ومعادها ، ١٨٤
سيكولوجية الشخصية ، ٦٨٠
الذات الشعرية في شعر الحداثة العربية ، ١٢
في النقد والادب ، ١١٢/١
المعجم الموسوعي في علم النفس ، ٢/ ٦٦٥
المصدر نفسه
في النقد والادب ، ١٤/١
ديوان الخريمي ، ٢٤
الموت في الشعر العربي السوري المعاصر ، ٣٢٦
ديوان ابن الرومي ، ١/ ٣٤٤- ٣٤٥
ديوان ابي فراس الحمداني ١٤٢ – ١٤٣
مقال ((محنة ابي فراس)) بقلم محمد ابراهيم أبو سنه ، مجلة الثقافة العربية ،ع١١ ،س١٩٧٦ ٧٥
وظيفة الادب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي ، ٢٧
الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي ، ٣٨
ديوان الشريف الرضي ، ١/ ٦٥
لغة الحب في شعر المتنبي ، ٥٠
شرح ديوان المتنبي ، ٤/ ٢٦٧ – ٢٦٨
فلسفة المتنبي من شعره ، ٣٢
المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ، ١٢٦
شرح ديوان المتنبي ، ٤/ ٣٠٨ – ٣٠٩
امراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ٣٦١
شعر ابن لنكك ،٤٩ – ٥٠
البطل والاغتراب في الفكر الانساني ، ٤٦
ينظر : طبقات الشعراء ، ٩٠
صالح بن عبد القدوس ، ١٣٧
مشكلة الحياة ، ٢٢١
ديوان ابي الشمقمق ، ٧٧- ٧٨
طبقات الشعراء ، ٣٧٦
الجامع في تاريخ الادب العربي – القديم - ، ٨٢٣
ينظر : شعراء الشعب في العصر العباسي الاول ، ٤٣
البيان بين انماط الصورة والدلالة النفسية في شعر مرتضى فرج الله ، ١٩٢
المفارقة والادب دراسة في النظرية والتطبيق ، ٣٤
ديوان ديك الجن ١٦٧ – ١٦٨
اسطورة الموت والانبعاث في الشعر العراقي المعاصر ، ١٦
اصول النقد الادبي ، ٣١
ديوانابي فراس الحمداني ، ٢١١- ٢١٢
قصص الحيوان في الشعر العربي القديم ، ٣٢
شروح سقط الزند ، ٩
النقد الادبي الحديث ، ٣٨٥
المعري بين الشك واليقين ، ١٠٤
خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة دراسة وتحليل ونقد ، ١٤٩
شعر ابن المعتز ١/ ٧٠ – ٧٣ ، اشعار اولاد الخلفاء ، ١٥٣ – ١٥٤
ينظر: الزمان والمكان في شعر ابي الطيب المتنبي دراسة تحليلية ، ١٧٥
ديوان الحاجري ، ٣٤٤ – ٣٤٥
جماليات المكان ، ٥٢
حماد عجرد شاعر عباسي ، ١٠٥
امراء الشعر في العصر الجاهلي ، ١٥٣

اللزوميات ٢/ ١٠٣

المكان في الشعر العربي قبل الاسلام ، ١٦٨

امراء الشعر العربي في العصر العباسي ،٤١٨

اشعار ابي الشيص ، ١٠٣

نكت الهميان ، ٧٦

ينظر : البحث عن المثال في شعر المعري ، ٦٧

اللزوميات ، ٢/ ٣٢٤

مصادر البحث

احوال النفس ، رسالة في النفس وبقائها ومعادها ، ابن سينا ، تحقيق أحمد فؤاد الاهواني دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

اسطورةالموتوالانبعاثفيالشعرالعراقيالمعاصر،ريتا عوض،المؤسسةالعربيةللدراسات،بيروت، ١٩٧٨ .

اشعار ابي الشيص ، جمع وتحقيق عبد الله الجبوري ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٩٦٧.

اشعاراولادالخلفاءواخبارهممنكتابالاوراق،الصولي،الناشرةج. هيروثدن،مطبعةالصاوي، ١٩٣٦ .

اصولالنقدالادبي،احمدالشايب،ط٨ ،مكتبةالنهضةالمصرية، ١٩٧٣ .

الاغترابفيحياةوشعرالشريفالرضي،عزيزالسيدجاسم،ط٢ ،دارالشؤونالثقافيةالعامة،بغداد ١٩٨٧ .

امراء الشعر العربي في العصر العباسي ، أنيس المقدسي ط٨، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٩ .

امراءالشعرفيالعصرالجاهليبيئاتهمحياتهمفنهمدراستحليليةنقدية،د.صلاحالهادي،مطبعةكاصدخير،القاهرة، ١٩٧٥ .

البطل والاغتراب في الفكر الانساني بدور عبد الكريم ، مجلة البيان الكويتية ، ع٢٣٧ ، ١٩٨٥ .

البيانبينانماطالصورةوالدلالةالنفسيةفيشعرمرتضىفرجالله،صباحعباسعنوز،مجلةاللغةالعربيةوآدابها،كليةالاداب،جامعةالكوفة، ٢٠٠٦ .

الجامعمعتاريخالادبالعربي – الادبالقديم - ،حناالفاخوري،ط٢،دارالجيل،لبنان، ١٩٩٥.

جمالياتالمكان،جاستونباشلار،ترجمةغالبهلسا،دارالجاحظ،بغداد، ١٩٨٠ .

حمادعجردشاعرعباسي،نازكبارد،ط١،دارالفكراللبناني،بيروت، ١٩٨٣.

خصوبةالقصيدةالجاهليةومعانيهاالمتجددةدراسةوتحليلونقد،محمدصادقحسنعبدالله،دارالفكرالعربي،القاهرة،د.ت .

ديوانابنالرومي،شرحفاروقاسليم،ط١ ،دارالجيل،بيروت، ١٩٩٨.

ديوان ابي الشمقمق ، جمعه وحققه وشرحه د. واضح الصمد ،ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥.

ديوان ابي فراس الحمداني ، شرح عبد الرحمن المصطاوي ، ط٣ ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ .

ديوانالحاجري،دراسةوتحقيقصاحبشنونالزبيدي،رسالةماجستير،كليةالآداب،جامعةبغداد، ١٩٨٨ .

ديوانالشريفالرضي،دارصادر،بيروت، ٢٠٠٤ .

ديواندیکالجن،تحقیقد. احمدمطلوبوعبداللهالجبوري،دارالثقافة،بيروت،د.ت.

الزمان والمكان في شعر ابي الطيب المتنبي دراسة تحليلية ، حيدر لازم مطلك ، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ .

شعراء الشعب في العصر العباسي الاول ، د. حسين عطوان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٠.

سيكولوجيةالشخصية،سيدمحمدغنيم،دارالنهضةالعربية،القاهرة،١٩٧٥.

شرح ديوان المتنبي،عبدالرحمن البرقوقي،ط٢،دار الكتب العلمية،بيروت،٢٠٠٧.

شروحسقطالزند،تحقيقمصطفىالسقاوآخرون،الدارالقوميةللطباعةوالنشر،القاهرة، ١٩٦٤ .

شعر ابن المعتز صنعة الصولي ، دراسة وتحقيق د. يونس احمد السامرائي ، منشورات وزارة الاعلام ،العراق ، ١٩٧٧ .

شعرابنلنككالبصري،تحقيقد. زهيرغازيزاهد،ط١،منشوراتالجمل،المانيا، ٢٠٠٥ .

صالحبن عبدالقدوسالبصري،تأليف وجمع وتحقيق عبد الله الخطيب،دار منشورات البصري،بغداد،د. ت.

فلسفة المتنبي من شعره ، د. محمد مهدي علام ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٧٢ .

في النقد والادب ، ايليا حاوي ، دار الكتاب البناني ، ط٤ ، بيروت ، ١٩٧٩

قصصالحيوانفيشعر العربيالقديم،احمدحماديخميس،رسالةماجستير،كليةالآداب،الجامعةالمستنصرية، ١٩٩٨ .

اللزوميات ، المعري ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

لغةالحبفيشعر المتنبي،عبدالفتاحصالحنافع،ط١،دارالفكرللنشروالتوزيع،الاردن، ١٩٨٣ .

المتنبيبيبيناقديهفيالقديموالحديث،د. محمدعبدالرحمنشعيب،دارالمعارف،مصر، ١٩٦٤ .

مشكلةالحياة،زكرياابراهيم،مكتبةمصر، ١٩٧١ .

المعجمالموسوعيفيعلمالنفس،نوربيرسيلاميوآخرون،ترجمةوجيهأسعد،منشوراتوزارةالثقافة،دمشق، ٢٠٠١ .

المعريبينالشكواليقين،عدنانعبيدالعلي،رسالةماجستير،جامعةالازهر، ١٩٧٩.

المفارقةوالادبدراسةفيالنظريةوالتطبيق،د. خالدسليمان،ط١ ،دارالشروق،عمان،١٩٩٩ .

مقال ((محنةابيفراس)) بقلممحمدابراهيمأبوسنه،مجلةالثقافةالعربية،ع ١١ ،س١٩٧٦ .

المكان في الشعر العربي قبل الاسلام ، حيدر لازم مطلك ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ .

الموت في الشعر العربي السوري المعاصر ((١٩٥٠ – ١٩٩٠)) ، د. وليد مشوح ،اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٠ .

النقدالادبيالحديث،د. محمدغنيميهلال،دارنهضةمصرللطباعةوالنشر،القاهرة،د.ت.

نكتال هميانفينكت العميان، الصفدي ،مطبعة الجمالية،مصر، ١٩١١م .

وظيفة الادب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي ، محمد النويهي ،معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الرسالة ، ١٩٩٦ .